﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا يلزم من نفي النَّظر نفيُ الإبصارِ

لمّا طلب المُجرمون في الآية السّابقة أن يعودوا إلى الدُّنيا مرَّةً أخرى؛ ليعملوا عملًا صالحًا، جاءت هذه الآية الكريمة ردًّا ضِمنيًّا على ما طلبوا منَ العودة للحياة الدُّنيا في قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا﴾، وبيانُه أنَّه تعالى قال: إنّي لو أرجعتُكم إلى الإيمان لهدَيتُكم في الدُّنيا، ولمّا لم أهدِكُم تبيَّن أنّي ما أردتُ وما شئتُ إيمانَكم فلا أرُدُّكم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَقَّ﴾: (حقّ) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إحكام الشَّيء وصحَّته[2]، والحقُّ: المُطابقة والمُوافقة؛ يُقالُ: حقَّ الأمرُ يحِقُّ ويَحُقُّ حقًّا وحُقُوقًا: صار حقًّا وثبَتَ؛ وأحقَّه: صيَّره حقًّا[3]، ومن ذلك (الحَقُّ) نقيضُ الباطلِ، وهو الشَّيءُ الثّابت الرّاسخ المُتمكِّنُ بشريعةٍ صحيحةٍ، أو عُرفٍ عامٍّ، ويدورُ المعنى المحوري له حول تمكُّنِ الشَّيءِ في عُمقِ مقرِّه[4].

2) ﴿ٱلۡجِنَّةِ﴾: (جنّ) أصلٌ واحدٌ، وهو السَّترُ والتَّستُّرُ[5]، وجَنَّ الشَّيءَ يجُنُّه جَنًّا: ستَرَه، وكلُّ شيءٍ سُتر عنكَ فقد جُنَّ عنكَ، والمعنى المحوريُّ سترُ الشَّيء بكثيفٍ يعلوه أو يكونُ الشَّيءُ في أثنائِه؛ كالشَّجر والنَّخل والعِنَب تُظِلُّ ما تحتَها وتستُره[6]، والجِنُّ: نوعٌ منَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 144.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (حقق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حقق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جن).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جنن).

العالَم سُمُّوا بذلك لاجتِنانِهم عن الأبصارِ، ولأنَّهم استَجَنُّوا منَ النّاس فلا يُرَون، والجِنُّ خِلافُ الإنسِ، والواحِدُ: جِنّيٌّ، سُمّيت بذلك لأنَّها تَخفَى ولا تُرَى[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مشيئةُ الله في هدايةِ خلقِه

يُبيِّنُ الله ﷻ في هذه الآية أنَّه لو شاء هداية النّاس جميعًا وتوفيقَهم إلى الطاعة لآتى كلَّ نفسٍ هُداها، فتهتَدي بالإيمان والطاعة باختيارٍ منها وكسبٍ لها، ولكنْ لم نشأ توفيقَ النّاس جميعًا إلى ذلك، بل حقَّ القولُ منّي وثبت لأملأنَّ جهنَّم من الجِنَّةِ والنّاس الذين يختارُون الضَّلالة، ويسلكون الطَّريق المُؤدّيَ إلى جهنَّمَ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَلَوْ﴾:

يجوز في الواو أن تكون عاطفةً أو اعتراضيَّةً للحال، فإذا كانت عاطفةً فهي تعطفُ على ما قُدِّر قبل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾؛ أي: ونقولُ: (لو شئنا)[2]، فهي معطوفةٌ على الآية السّابقة: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، وإذا كانت اعتراضيَّةً فهي تعترضُ بين القولِ المُقدَّرِ قبل قوله: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾، وبين الجواب عنه بقوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ﴾، فالواو التي في صدر الآيةِ اعتراضيّةٌ، وهي من قَبيلِ واو الحال[3].

نكتةُ التَّعبير بـ(لو) في قوله: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا﴾:

الهدايةُ التي يتعلَّقُ بها الفوز بالآخرة هي هدايةُ الدُّنيا

آثر القرآن الكريم التَّعبير بـ(لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا﴾؛ لأنَّها حرف امتناعٍ لامتناعٍ تدلُّ على ارتباط الجواب بالشَّرط، والمعنى: أنَّه لو تعلَّقت مشيئَتُنا تعلُّقًا فعليًّا بأنْ نُعطيَ كُلَّ نفسٍ منَ النُّفوس البَرَّة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمانِ والعملِ الصّالحِ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (جنن).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل: 7/ 83.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 222.

لأعطيناها إيّاه في الدُّنيا، التي هي دارُ الكسبِ، وما أخَّرناه إلى دارِ الجزاءِ[1]؛ لذلك كان التَّعبيرُ بـ﴿وَلَوْ﴾ لبيان شدَّة ارتباطِ الشَّرطِ بالجواب، فالجوابُ: ﴿لَآتَيْنَا﴾ مُمتنعٌ؛ لامتناع الشَّرطِ: ﴿شِئْنَا﴾، وفي هذا دليلٌ على شدَّة ارتباطِ الهداية بالمشيئة الإلهيَّة.

فائدةُ التَّعبير بالشَّرطيَّة:

تسليةُ الرَّسول ﷺ وتأنيسُه

الغرضُ منَ التَّعبير بالشَّرط في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ هو إرادةُ تسليةِ الرَّسول ﷺ[2]، وتأنيسُه بسبب ما يُقابله من لَأْيٍ ومشقَّةٍ يُسبِّبُها له الكفّار المجرمون، ويُضاف إلى ذلك أنَّ الجملة الشَّرطيَّةَ جاءت جوابًا لقولهم: ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾، كما ذكر بعض العلماء[3].

وقد يُقال: إنَّ بناء الكلام على الشَّرط فيه تشويقٌ لطلب الجواب المُتعلِّق بالشَّرط، فكان في الشَّرط جذبًا للانتباه وإيقاظًا للأذهان.

سرُّ التَّعبير بالمشيئة دونَ الإرادة:

المشيئةُ تقتَضي الوجودَ لا الإرادةَ

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالمشيئة دون الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لوجودِ فرق بينهما، فالإرادة تكون لِما يتراخى وقتُه، ولما لا يتراخى، بخلاف المشيئة فهي لما لم يتراخَ وقتُه، ولأنَّ الإرادة هي العزمُ على الفعل أو التَّرك بعد تصوُّر الغاية المُترتِّبة عليها، فهي أخصُّ منَ المشيئة؛ لأنَّ المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتُها إلى الإرادة كنسبة الضَّعف إلى القوَّة، والظَّنِّ إلى الجزم؛ فإنَّك ربَّما شئت شيئًا ولا تُريده لمانعٍ عقليٍّ أو شرعيٍّ، وأمّا الإرادة فمتى حصلَت صدَرَ الفعلُ لا محالة[4]، وبناءً على هذا فالمشيئة والإرادة مُتغايران؛ لأنَّ المشيئة منَ الله تقتَضي وجود الشَّيء، أمّا الإرادة فلا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل: 7/ 83.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 4.
(3) الشهاب، حاشية الشهاب: 7/ 150.
(4) الكفوي، الكليات، ص: 74.

تقتَضي الوجود، مثلَ قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ [غافر: 31][1]؛ لذلك آثر الذِّكر الحكيم معنى المشيئة؛ لأنَّه يقتَضي الوجودَ لا محالة، فلا رادَّ لمشيئتِه.

سرُّ التَّعبير بالماضي ﴿شِئۡنَا﴾ دونَ المضارع:

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالماضي ﴿شِئۡنَا﴾ دونَ المضارع (نشاء)؛ للدَّلالة على أنَّ مشيئة الله في عدم هداية الكفّار والمجرمين أمرٌ أزليٌّ قدَّره الله ﷻ لعلمِه بما يكونون عليه من أمر الكفر وإنكار البعث.

دلالةُ إسناد المشيئة إلى نونِ العظمة:

تربيةُ المهابة في نفوس الخلائقِ مع الثِّقة فيما قدَّره الله

أُسنِد الفعل (شاء) إلى نونِ العظمة (نا) في قوله: ﴿شِئۡنَا﴾، تربيةً للمهابة في نفوس الخلائق، مع الثِّقة فيما قدَّره الله ﷻ للخلائق، وفيه إبرازٌ لقيمة المشيئة الصّادرة منَ الله ﷻ؛ فالفعل يكتسبُ قيمتَه ممّا اتَّصل به، وفعل المشيئة اتَّصل بـ(نا) العظمة، فصارتِ المشيئة عظيمةً لعظَمة مَن شاءها، وللدَّلالة على السَّيطرة والهيمنةِ، فالملك ملكه، والتَّصرُّف تصرُّفه، والحكم حكمه، فالعظمة تأبى أن يكون لغير الله شيء يستقلُّ به، أو يكونَ في ملكه ما لا يريدُ[2].

نكتةُ حذفِ مفعول المشيئة:

حـذفُ المفعول لغرضِ التَّعميم وللعلمِ به

حُذِفَ مفعولُ المشيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ لأغراضٍ:

الأوَّل: الغالبُ في فعل المشيئة الواقعِ شرطًا استغناؤُه عن المفعول بما يدلُّ عليه جوابُ الشَّرط، والمعنى: (لو شئنا لجَبَلْنا كلَّ نفس على الانسياق إلى الهدى بدون اختيارٍ كما جُبلت العجماواتُ على ما أُلهِمت إليه من نظامِ الحياة)[3].

(1) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية: 4/ 149.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 251.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 223.

والثّاني: قد يُحذَف مفعولُ الفعل المُتعدّي ويُنزَّل منزلة اللّازم لإثبات معنى فعل الفاعل، والتَّقدير: (منه المشيئة الحقيقيَّةُ لا من غيره)[1].

والثّالث: العموم والشُّمول لكلِّ ما في الكون؛ فكلُّ ما في الكون تحت مشيئتِه وإمرتِه.

دلالةُ اللّام في قوله: ﴿لَآتَيْنَا﴾:

بيانُ قوَّة الإيتاء الممنوحِ من الله تعالى

جاءت اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾؛ جوابًا لأداة الشَّرط الامتناعيَّةِ (لو)، وجوابُها يجوز فيه الإتيانُ باللّام، ويجوز عدم الإتيان بها، فيجوز في غير القرآن أن يُقال: (ولو شئنا آتينا)، غيرَ أنَّ اللّام هنا جاءت لتأكيدِ قوَّة الإيتاء الصّادرِ منَ الله إذا شاء ذلك، فالإرادةُ نافذةٌ، والقدرةُ لا يُعجِزُها شيءٌ.

سرُّ التَّعبير بالإيتاءِ في قوله: ﴿لَآتَيْنَا﴾:

يُسرُ هداية مَن شاء الله هدايتَهم

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالإيتاء في قوله: ﴿لَآتَيْنَا﴾ لِما يحملُه هذا الفعل من اليُسر والسُّهولة في هداية الله لمَن شاء هدايتَهم، وأيضًا في عدم هداية من لم يُرد الله أن يهديَه، فلا يُعجزه شيءٌ، وفيه إشارة إلى عظمة فعل الله تعالى في مشيئة الهداية وعدمِها؛ لأنَّه منَ الأمور العِظام.

دلالةُ إسناد الفعل إلى نون العظمة:

تعدُّدُ نِعم الله تعالى على العباد

دلَّ التَّعبيرُ بنون العظمة في قوله: ﴿لَآتَيْنَا﴾ على قوَّة الإيتاء وعظمَته، وعلى التَّناسب والتَّآخي بين ﴿لَآتَيْنَا﴾ و﴿شِئْنَا﴾، إضافةً إلى أنَّ الإيتاء يتعدَّدُ بتعدُّدِ المُؤتَى[2]، فكان الأوفقُ توظيفَ (نا) العظمةِ، ويُضافُ إلى ذلك دلالةُ المفعول به والمُضافِ إليه ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾، فضميرُ العظمة هنا أوفقُ بالكثرة الدّالِّ عليها ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾[3].

(1) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية: 4/ 149.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 126.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 126.

فائدةُ التَّعبير بـ ﴿كُلَّ نَفۡسٍ﴾:

قدرةُ الله تعالى مُحيطةٌ ونافذة على التَّصرُّف

دلَّ التَّعبير بقوله تعالى: ﴿كُلَّ نَفۡسٍ﴾ على الإحاطة والشُّمول، والقدرةِ المُطلقةِ النّافذة على الإيتاء والتّصرُّفِ، وهذا الشُّمولُ والعموم يتلاءم مع تنكير لفظةِ ﴿نَفۡسٍ﴾ الدّالَّة على الإحاطة التّامَّة بكلِّ المخلوقات، وممّا يُذكر في سرِّ التَّعبير بقوله: ﴿كُلَّ نَفۡسٍ﴾ الإذعانُ والخضوعُ والتَّسليمُ بالقدرة المُطلقةُ لله ربِّ العالمين، والانصياعُ لأوامره ونواهيه.

علّةُ إسناد الهداية إلى النَّفس:

بيانُ اختصاص كلِّ نفس بهدايةٍ تُناسبُها

أُسنِدت الهدايةُ إلى النَّفس في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾؛ لأنَّ المُراد هُدى المعونة، وإلّا فقد هَدى اللهُ جميعَ النّاس هُدى الدَّلالة على طريق الخير، فالذي أخذ بهدى الدَّلالة يأخذ هُدى المعونة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: 17][1]، فدلَّ ذلك على أنَّ لكلِّ نفسٍ هدايةً خاصَّةً بها.

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿هُدَىٰهَا﴾:

ينكشِفُ للإنسان بالتَّدبُّرِ عواقبُ الأعمال

دلَّت الإضافةُ إلى الضَّمير في قوله: ﴿هُدَىٰهَا﴾ إلى أنَّ الغرض منه تمكُّنُ النَّفس منَ الهداية والرَّشاد والتَّوفيق وصالح الأعمال تمكُّنًا شاملًا[2]، ولمّا أراد أن يكِلَ إلى الإنسان تعميرَ هذا العالَم، وأن يجعلَه عُنوانًا لعلمِه وحكمتِه، وأن يُفضِّلَه على جميع الأنواع اقتَضَى لتحقيق هذه الحكمة أن يخلق في الإنسان عقلًا يُدرِكُ به النَّفعَ والضُّرَّ، والكمال والنَّقص، والصَّلاح والفساد، والتَّعمير والتَّخريب، وتنكشف له بالتَّدبُّرِ عواقبُ الأعمال المُشتبهةِ والمُموَّهة، بحيث يكونُ له اختيارُ ما يصدُرُ عنه من أجناسِ وأنواعِ الأفعالِ الَّتي هي في مكنتِه بإرادةٍ تتوجَّه إلى الشَّيء وضدِّه[3].

---

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11825.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 251.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 223.

بلاغةُ الإيجاز بالحذفِ في قوله: ﴿وَلَٰكِنۡ﴾:

تصحيحُ الفهم وتحقيقُ الاختصار في النَّظم

آثر القرآن الكريم التَّعبير بقوله: ﴿وَلَٰكِنۡ﴾ للدَّلالة على الاستدراكِ، وفائدتُه: تصحيح الفهم واعوجاجِ التَّفكير، وقد جاءت (لكنْ) دالَّةً على الاختصار بالحذف منَ التَّركيب؛ إذْ حذَفَ مُعظم ما أريدَ بحرفِ الاستدراكِ، فالمعاني المترتِّبةُ على وجود (لكنْ) أن يُقدَّرَ: (ولكنّا لم نشأ ذلك بل شئنا أن نخلُقَ النّاس مُختارين بين طريقَي الهدى والضَّلال، ووضعنا لهم دواعي الرَّجاء والخوفِ)[1].

دلالةُ التَّعبير بالفعل: ﴿حَقَّ﴾:

تحقُّق الوعد الإلهيّ وعدمُ إخلافِ الميعاد الذي واعدَه الله لخلقِه

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل ﴿حَقَّ﴾ دونَ غيره؛ لأنَّه بمعنى: ثبت وتوجَّبَ، ودلَّ على القدرة المُطلقة وعدم إخلافِ الميعاد؛ لأنَّ إخلاف الميعاد إنَّما يكون لعجزٍ أو نسيان أو حاجة، ولا شيء من ذلك يليقُ بجناب الله، أو يحلُّ بساحتِه[2].

نكتةُ العدول عن الإضافة إلى التَّعريف:

ترابطُ النَّظم القرآنيّ بالإشارة إلى معهودٍ سابقٍ

عدَلَ النَّظم القرآنيُّ عن الإضافة إلى التَّعريف، فلم يقل: (حقَّ قولي) بل قال: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ لأنه أُريد الإشارة إلى قولٍ معهودٍ، وهو ما في سورة (ص): ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾ [ص: 84 - 85] أي: حقَّ القول المعهودِ[3].

دلالةُ التَّعبير بـ(مِنْ) في قوله: ﴿مِنِّي﴾:

تعظيمُ شأن القول ودفعُ اللَّبس بأنَّ هناك مَن حَقَّ قولُه مع الله

جاء التَّعبير بـ (مِنْ) في قوله: ﴿مِنِّي﴾ للدَّلالة على ابتداء الغاية، والغرض منه تعظيم شأن هذا القول بأنَّه منَ الله، ليكتسب قوَّته وجلالَه، كما عَدل النَّظم الكريم في قوله تعالى: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ عن ضمير العظمة إلى ضمير النَّفس لإفادة الانفرادِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 223.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 251.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 224.

بالتَّصرُّفِ ولأنَّه الأصلُ، مع ما في هذا الاختلاف من التَّفنُّن[1]، ودفعِ اللَّبس بأنَّ هناك مَن حقَّ قولُه مع الله، فلو قيلَ: (منّا) لظُنَّ أنَّ أحدًا شاركَ الله في حقّيَّة القولِ، وهذا ما لم يكُنْ، فكان إفرادُ الضَّمير هو الأنسبَ.

وقد يكونُ علَّةُ إفراد الضَّمير القلَّةَ الدّالَّ عليها قولُه تعالى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، فهي أقلُّ عددًا من تركيبِ ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾[2].

وقيلَ: إنَّ السَّبب في إفرادِ الضَّمير أنَّه لمّا استَوفى الأمرُ حدَّه منَ العظمة لفَتَ الكلامَ إلى الإفراد؛ دفعًا للتَّعنُّتِ[3].

نكتةُ اللّام في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ واقعةٌ في جواب القسم، والغرض من ذلك تعظيم القول وتفخيمُه، والمعنى: (أُقسِمُ لأملأنَّ جهنَّم منَ الجنَّة والنّاس أجمعين).

نكتةُ الإفراد في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾:

توحيدُ الإملاء وعدمُ تعدُّده

لم يقل الحقُّ: (لنملأنَّ)، وإنَّما قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾؛ لأنَّ الإملاء لا تعدُّدَ فيه، فتوحيد الضَّمير أوفَقُ به، وقد يُقالُ: إنَّه وحَّد الضَّمير في الوعيد لِما أنَّ المعنيَّ به المشركون، فكأنَّه أخرجَ الكلام على وجهٍ لا يتوهَّمُ فيه مُتوهِّم نوعًا من أنواع الشَّركة أصلًا[4].

سرُّ التَّعبير بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

ضيقُ المكان على أهل النّار زيادةٌ في العذاب

آثر القرآن الكريم التَّعبير بفعل الامتلاء في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾؛ لأنَّ الملءَ مقدار ما يأخذه الإناء المتلئ، وهو بهذه الصّيغة يدلُّ على أنَّ الامتلاء لجهنَّم يكون مُتجدِّدًا حالًا بعد حالٍ، وفي ذلك إشعارٌ بجمع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 224.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 126.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 251.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 126.

كلِّ مَن تبع إبليسَ وأعوانَه إلى جهنَّم، وإشارةٌ إلى ضيق الفسحة عليهم، فلا يجدون أمامَهم إلّا العذابَ.

دلالةُ تتابع المؤكِّدات في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

حتميَّةُ نفاذ حكمِ الله وحكمتِه

تتابعت المؤكِّدات باللّام الواقعة في جواب القسم المُقدَّر، مع نون التَّوكيد الثَّقيلة المُلازمة للفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ تغليظًا للقول وتثبيتًا، فقد صار أمرُ الملءِ مُحكمًا نافذًا بحيث لا يتغيَّر ولا يتبدَّلُ ولا يتخلَّف، مع بيان التَّحذير الشَّديد لكلِّ مَن يخافُ منهج الله، سواءٌ أكان منَ الجنِّ أم من الإنس؛ فالجزاء من جنس العمل، وقد يُقال: إنَّ التَّأكيداتِ جاءت دفعًا لإنكارهم[1].

دلالةُ التَّعبير بـ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾:

أُعدَّت النّار للعُصاة والكفّار منَ الجنَّة ومنَ النّاس

دلَّت ﴿مِنَ﴾ هنا على بيان الجنس[2]، فقد وضَّحت مُبهمًا؛ لأنَّ الجملة قبلَها ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ عامَّة، فجاءت ﴿مِنَ﴾ وبيَّنت جنس مَن يدخلُ جهنَّم، ويجوز أن تدلَّ ﴿مِنَ﴾ على التَّبعيض من باب تلاحم معاني ﴿مِنَ﴾؛ فيكون المعنى: إنَّ جهنَّم ستمتلئُ ببعض الجنَّة والنّاس، وهم العُصاة والكفّار، فأدَّت ﴿مِنَ﴾ الجارَّةُ دلالتَين مختلفتَين يحتملُهما السّياقُ.

سرُّ التَّعبير بـ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون غيرها:

الجزاء من جنسِ العمل

آثر القرآن الكريم التَّعبيرَ بجهنَّم في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ دون غيرها من أوصاف النّار، إشارةً إلى ما كان يفعلُه المجرمون منَ التَّجهُّم في وجوه المؤمنين والتَّكبُّرِ عليهم، فكان الجزاءُ من جنس العمل.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 251.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 3775.

دلالةُ التَّعريف بـ(أل) في ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾:

جاء التَّعريف بـ (أل) في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ للعهد، والمراد: عُصاتُهما، ويُؤيِّده الآيةُ المُتضمِّنة خطاب إبليسَ، ويجوز أن تكون هنا جنسيَّةً تعني جميع جنس الجنِّ والنّاس من الكفَرة، وتكون الإحاطةُ والشُّمولُ لكلِّ كافر منَ الفريقَين[1].

إحاطةُ العذاب يوم القيامة بكلِّ كافرٍ منَ الجنِّ والإنس

سببُ تخصيص ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بالذِّكر:

خصَّ النَّظم الكريم ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بالذِّكرِ لأنَّهما الثَّقلان المُكلَّفان[2]؛ فهما المُحاسَبان على أعمالهما، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، لذا خُصّا بالذِّكر، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه عصمَ الملائكةَ من عملٍ يستَوجبون به العذاب[3].

بيانُ أنَّ الحساب متعلِّقٌ بمَن كُلِّف بالعمل والطّاعة

نكتةُ تقديم ﴿ٱلۡجِنَّةِ﴾ على ﴿وَٱلنَّاسِ﴾:

قدَّم النَّظمُ ﴿ٱلۡجِنَّةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾؛ لأنَّ الجِنَّة أسبقُ في الوجود منَ الإنس، وهم الذين أضَلُّوا النّاس، مع استعظام النّاسِ لأمر الجِنَّة؛ لذا قُدِّموا، وأيضًا كأنَّ لفظة ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ تعني: التّابعين لهم والمُقتَفين أثرَهم.

الجِنَّة أسبَقُ في المعصية منَ الإنس

دلالةُ التَّعبير بلفظ: ﴿أَجۡمَعِينَ﴾:

جاءت لفظةُ: ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ لتأكيد شُمول تثنية كلا النَّوعين؛ الجِنِّ والنّاسِ، لا لشُمول جميع الأفراد، مع القدرة المُطلقة على شُمول جميع الأفراد، وقد يُضاف إلى دلالة ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ أنَّها دالَّةٌ على أنَّ الملءَ سيكون في وقتٍ واحد من دون تأخيرٍ أو تمهُّلٍ، وفي هذا دلالةٌ على الهيمنة والسَّيطرة من ربِّ العالمين.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 21/ 128.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11/ 6770.
(3) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 391.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّفسُ والرُّوحُ:

الـرُّوحُ الـذي به الحياةُ والنَّفسُ التي بها العقلُ

منَ اللُّغويّين مَن سوَّى بين النَّفس والرُّوح، وقال: هما شيء واحد، إلّا أنَّ النَّفسَ مُؤنَّثة والرُّوحَ مُذكَّرة، وقيلَ في التَّفريق بينهما: الرُّوح الذي به الحياةُ، والنَّفسُ التي بها العقلُ، وسُمّيت النَّفس نفسًا لتولُّدِ النَّفَس منها واتِّصاله بها، كما سمَّوا الرُّوح روحًا؛ لأنَّ الرُّوحَ موجودٌ به، وقيلَ: إنَّ الفرق بينهما بحسب الاعتبارات، فمنَ الرُّوح عفافُه وفهمُه وحلمُه وسخاؤُه ووفاؤُه، ومنَ النَّفس شهوتُه وطَيشُه وسفهُه وغضبُه، فلا يُقالُ في النَّفس: هي الرُّوحُ على الإطلاق حتَّى يُقيَّدَ[1].

الإيتاءُ والإعطاءُ:

الإيـتـاءُ أقـوى مـنَ الإعـطـاء في إثباتِ مفعوله

هناك فرقٌ بين الإيتاء والإعطاء في القرآن الكريم، فالإيتاء أقوى منَ الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاء له مُطاوعٌ، يُقالُ: (أعطاني فعَطَوتُ)، ولا يُقالُ في الإيتاء: (آتاني فأتيتُ)، وإنَّما يُقالُ: (آتاني فأخذتُ)، والفعل الذي له مُطاوع أضعفُ في إثبات مفعوله من الذي لا مُطاوعَ له؛ لأنَّك تقول: (قطعتُه فانقطعَ)، فيدلُّ على أنَّ فعلَ الفاعل كان موقوفًا على قبولِ المحلِّ، لولاه لَما ثبت المفعول، ولهذا يصح: (قطعتُه فما انقطعَ)، ولا يصحُّ فيما لا مُطاوع له ذلك؛ لأنَّ هذه أفعالٌ إذا صدرَتْ منَ الفاعل ثبت لها المفعولُ في المحلِّ، والفاعلُ مُستقلٌّ بالأفعال التي لا مُطاوعَ لها، فالإيتاء إذن أقوى منَ الإعطاء[2].

وفي الإعطاء دليلُ التَّملُّكِ دونَ الإيتاء، ويُؤيِّدُه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]؛ فإنَّه كان له منعُ مَن شاء منه

(1) الزبيدي، تاج العروس: (نفس).
(2) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 488.

كالمالك للملك، وأمّا عندما ذكرَ القرآنَ وحيثُ كانت أمَّة النَّبيِّ مُشاركين له في فوائدِه، ولم يكُن له منعُهم منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»